الثمن . وكذلك الخمر اللبنانيّة فلو استحضروها كأجدادهم امكنهم تصديرها الى الخارج دون فسادها

وعلى هذا المثال عدّة صنائع قديمة اصابها الخمول لعدم اتقانها كما في العهد السابق كحياكة الحرير والطنافس وتطعيم الآبنوس ونقش الزجاج الذي يهتمّ في تجديده حاضرًا المعهد الفرنساوي في دمشق . فعلى افراد التجار والشركات الوطنيّة ان يسعوا باعمال رابحة يروّوس مالهم فيخفّفون هكذا عن عاتق الحكومة التي تعجز وحدها عن القيام بعدّة مساعي فيخدمون وطنهم ويحرزون لهم ثروة طيّبة

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثاني

نظر عامّ في الآداب العربية حاضرًا

تتبّعنا في دروس سابقة ثلاث حقب الربع الاوّل من القرن العشرين ورأينا ما طرأ على الآداب العربية من التأثير والتقلّب بدواعي احوال العصر من حريّة مقيّدة وحريّة دستوريّة وانضغاط لسبب الحرب الكونيّة والتحرُّر التام بعدها

فما بقي علينا إلّا أن نلقي رائد البصر الى العالم العربي الحاضر لنرى اجمالًا حالة آدابه الحاضرة وما يُرجى منهُ لمستقبل هذه الآداب

كان حقًّا ان نباشر بحثنا هذا بهد اللغة العربيّة اي جزيرة العرب . أيستفاد من نجدها وحجازها ويَمنها شيء لنهضة الآداب العربيّة ؟ فنجيب بكل أسف إنّ مقامها في عالم الادب غاية في الخمول . فانّ مدارسها وصحافتها ومنشوراتها لا يُعبأ بها . ولا

تذكر انَّ في حواضرها بعض العلماء المتفقهين إلَّا انَّ آثار اقلامهم زهيدة مجهولة . ولا تخلو مكة والمدينة وصنعاء من مخطوطات عربيَّة نادرة وانَّما هي مطمورة مثوية في بعض زوايا المساجد او بيوت الخاصَّة يقرضها العثّ والأَرَضة ويتلهَّف على فقدها العلماء وحتى الآن لا تلوح لنا بارقة امل في تحسين تلك الاحوال وخروج البلاد من سِنَتها وجمودها الادبيّ

لكنَّ نظر مصر ورقيها في سلم الآداب يبهج النظر ويسرّ القلب . فانَّ عظمة ملكها فؤاد الاوَّل ووزراءها وعلماءها الأَعلام من وطنيين وأَجانب يتناصرون في تعزيز الآداب العربيَّة في القطر المصري عموماً وفي القاهرة خصوصاً . فالمدارس زاهرة وسوق الآداب نافقة والصحافة راقية والمطبوعات العربيَّة متوفرة . وهناك الجامعة العربيَّة والمكاتب الحافلة بالآثار القديمة والمخطوطات العزيزة الوجود بعضها في المكاتب العموميَّة وبعضها عند الخاصَّة ذوي الهمَّة العالية

على انَّ هذه النهضة المشكورة لم تبلغ غاية ما يؤمَّل من نشاط ذويها وتوفُّر اسباب نجاحهم . فانَّ لديهم كنوزاً من آثار القدماء لم تزل دفينة . ومع تحسُّن الطباعة المصريَّة مادِّيًّا لم تتحسَّن كثيراً بالصورة والمضامين والشروح وتصحيح الروايات والفهارس الخ فانَّ منشوراتها بعيدة عن اتقان المستشرقين لكتبهم

اما مطبوعات مصر الحديثة فانها تحسَّنت من جانب حروف الطباعة واتقان الطبع وجمال الصور وصقالة الورق لكنها غالباً قليلة الجدوى فانَّ بينها قسماً كبيراً للروايات الخياليَّة التي يعرّبونها عن اللغات الاوربيَّة ومعظمها ضرره اكبر من نفعه لما يغلب عليها من وصف الحوادث الغراميَّة وتهييج الشهوات الباطلة . ومنها قسم آخر اخلاقي اجتماعيّ سياسيّ هو ايضاً منقول عن كتب الغرب بينهُ النثّ والسمين فينشرون آداب الفرنج دون الاحتياط اللازم اذ ليس كل احوال اوربَّة تصلح لاهل الشرق

واما الكتب العلميَّة فانها قليلة الرواج بين العموم ما عدا بعض التاليف التاريخيَّة القريبة المنال غير الواسعة الجامعة . على انَّ بعض المجلَّات لاسيما التي ينشئها اهل الشام كالمقتطف والهلال لا تستنكف عن الفصول العلميَّة الراقية . والمقالات الاجتماعيَّة والفلسفيَّة لولا بعض تطرُّف في الآراء . اما العلوم الدينيَّة فهي محصورة بالعلوم الاسلاميَّة التي اخذ البعض في انتقادها دون التحرُّز الكافي والاعتدال المرغوب . وتتعاطى

الارساليات الاميركية الابحاث الدينية المسيحية تشوبها مسحة من الآراء البروتستانية

اما ﴿السودان﴾ فلا تكاد تفيد شيئاً الآداب العربية لقلة عناية اهلها بأمور العقل. وانما أنشئت في الخرطوم مطابع لنشر بعض الجرائد وتآليف بسيطة

ويجاري ﴿القطر السوري﴾ واديَ النيل في مساعيه المشكورة لخدمة الآداب العربية. ففيه المدارس العليا والثانوية والابتدائية لا تكاد تخلو من بعضها ناحية من بلاد الشام. ففي بيروت ودمشق الجامعات الكبرى للعلوم الطبيعية والهندسة والطب والحقوق. وفيها ايضاً كما في صيداء وطرابلس وحلب وزحلة والبترون وجبيل وجونية ودير القمر مدارس ثانوية بعضها للذكور وبعضها للاناث. اما المدارس الابتدائية فلا يضبطها احصاء في كل قرى الجبل وكافة سورية وذلك بفضل الانتداب الفرنساوي الذي يبذل الجهود في تعميم التعليم. وقد يقوم بهذه المهنة الشريفة رجال من ذوي المقدرة منهم رهبان ومنهم علمانيون. وكذلك مدارس البنات تتولاها بعض المعلمات العلمانيات وبالاخص راهبات من جماعات رهبانية مختلفة كراهبات المحبة وراهبات قلبي يسوع ومريم وراهبات مار يوسف وراهبات الناصرة وراهبات العائلة المقدسة وراهبات بيزنسون. على ان بعض مدارس الذكور الابتدائية تحتاج الى مراقبة وحسن تدبير. ولذلك فكرت الحكومة في فتح دار للمعلمين يتخرجون فيها لادارة المدارس وللآباء اليسوعيين في تعنايل دار من هذا الصنف اتت بثمار طيبة

وسورية غنية ايضاً (بالمطابع) التي قد تعددت في المدن والقرى معظم شغلها في نشر الجرائد والمجلات التي تنيف على المئتين. اخصها في المدن لاسيما في بيروت ودمشق وحلب وطرابلس وصيداء وحمص وحماة ولا تخلو منها نواحي الجبل وقراها كزحلة والدامور ودير القمر وبيت شباب وجونية وجزين واعبيه وعاليه. واغلب منشوراتها جرائد سيارة ليس بينها إلا القليل مما يستحق الذكر ويفيد الآداب كلسان الحال والبشير والوطن والبرق والمقتبس والف باء والعلم والزهور والصفا

وارقى منها المجلات كمجلة المجمع العلمي في دمشق والعرفان في صيداء والمشرق والكلية والآثار الشرقية والحارس والمعارف والمجلة الطبية العلمية ورسالة قلب يسوع والنشرة الاسبوعية والمعرض والبيان في بيروت والآثار في زحلة والمباحث في طرابلس يحررها غالباً قوم من افضل حملة الاقلام. لكنها لا تزال تحتاج الى ترقٍ

لتجاري المجلّات الاوربيّة التي يحرّرها الاختصاصيّون ولاسيما في القسم العلميّ والاثري كما ترى في مجلة (Syria) او في مجموعة المكتب الشرقي او كلّية القديس يوسف (Mélanges de l'Université S^t Joseph)

وممّا يبعث الأمل في حسن مستقبل الآداب العربيّة ما أنشئ من الجمعيّات لخدمتها كالمجمع العلميّ في دمشق وكنوادٍ ادبيّة للشبيبة فيها وفي بيروت وحلب وحماة وطرابلس. فانّ الناشئة تزيد اقبالاً على الآداب اذا انتظمت في سلك جمعيّات تجد اصحابها حريصين على الرقي والنجاح يتمرّنون على الكتابة والخطابة ويلقون المحاضرات في الابحاث العلميّة او المسائل الاجتماعيّة

وكذلك قد توفّرت الوسائل لاستقاء المعارف وتعزيز الآداب بتوفر المطبوعات المختلفة كالتواريخ العموميّة والخصوصيّة وكالدواوين الشعريّة والتآليف المدرسيّة والمصنّفات الادبيّة واللغويّة. وها قد تمّت الطبعة الجديدة من المُنجد بعد توسيعه وتكميله وينتظر قريباً معجم الشيخ عبدالله البستاني وغير ذلك من المنشورات المفيدة

وممّا يُساعد على رقي الآداب خزائن الكتب الجامعة للتآليف القديمة والحديثة. ولبيروت فضل كبير في ذلك وفيها أُنشئت اوّل مكتبة عموميّة بهمة رجل الفضل والادب الفيكنت فيليب دي ترّازي. وفي الكليّتين اليسوعيّة والاميركة مكاتب واسعة يقصدها الكلفون باحراز العلوم

ومن الاقطار التي تستحقّ الذكر بعد مصر وسوريّة ﴿العراق﴾ فانّ بغداد مدينة السلام لا تستطيع ان تنسى ماضيها اذ كانت مركز الحركة العلميّة في عهد الخلافة العبّاسيّة. وانّما أُصيبت في العهد التركي بخمول عظيم على الرغم ممّن اشتهر فيها من الادباء كالألوسيين وغيرهم

لكنّ دولة العراق الجديدة ساعيةٌ في سدّ هذا الخلل فترى فيها حاضراً نهضةً جديدة يتناصر في تعزيزها ارباب الدولة مع أدباء المسلمين والنصارى. وقد تحسّنت المدارس وتعدّدت المطابع وترتّبت الصحافة ونُشرت الكتب في الفنون المختلفة مايدلّ على انّ العراق افاق من سنته. اما ﴿الموصل﴾ فانها بعد فقدها لمطبعة الآباء الدومنيكان تحتاج الى وسائل جديدة لتنهض من كبوتها. وانّما مدارسها تُنبئ بتحسّن محسوس. ومثلها البصرة. ولعلّ النجف وكربلاء اقرب اليوم منها الى احراز المعارف (لهُ بقيّة)